مركز غزة للدراسات والاستراتيجيات
Center GAZA For Studies & Strategies

د. محمد إبراهيم المدهون..

يكتب..

رمضان شهر الخير

1441هـ - 2020م

المحتويات

أهلاً رمضان..... 3

هذا رمضان يا ولدي..... 5

رمضان مشروع نهضة..... 7

رمضان .. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون..... 9

فلسفة التغيير في رمضان..... 11

رمضان مدرسة..... 13

فلسفة الصيام..... 15

||| سلسلة مقالات: رمضان شهر الخير |||

أهلاً رمضان

يبدأ شهر رجب الخير ويعتلي رسول الله صلى الله عليه وسلم منبره كما يحدثنا أنس رضى الله عنه مرحباً بهلال رجب متعجلاً مقدم رمضان "اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا اللهم رمضان".

إن رمضان بحاجة منا إلى سلوك مشابه لسلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ والإستعداد المبكر لإستقبال رمضان. التهيؤ المطلوب يتم بتهيؤ المعرفة والإدراك وتهيؤ الشوق والعاطفة وتهيؤ الإرادة والعزيمة.

التهيؤ الإدراكي والمعرفي أهم المحطات حيث نتحصل العلم والمعرفة بقدر رمضان ومكانته، نعلم أن فيه ليلة خير من ألف شهر، وأن من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير ليس كمن تقرب في سواه، وأن أوله رحمة وأوسطه مغفرة وأخره عتق من النار، وبمقدمه تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النيران، وأن الله ينظر في أول ليلة فيه إلى عباده ومن نظر إليه لا يعذبه، وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأن الملائكة تستغفر للمؤمنين في كل يوم وليلة، وأن الله عز وجل ينادي جنته بأن تتزين لعباده، وأن الله يغفر لجميع المؤمنين في أخر ليلة من رمضان، وأن ...

ومن التهيؤ المعرفي لرمضان ألا نخلط بين رمضان كشهر مبارك والصيام كعبادة. فالصوم في رمضان وغيره، فهناك صوم الكفارات والنذور والنوافل والفروض، حيث أن مادة الصيام في القرآن وردت في ثلاثة عشر موضعاً لا يخص رمضان فيها سوى أربعة مواضع.

رمضان شهر الصيام "من صام رمضان إيماناً وإحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه"، ورمضان شهر الفرقان نزولاً ومدارسةً "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" وكان جبريل يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في كل ليلة من رمضان يدارسه القرآن، ورمضان شهر الإعتكاف "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان"، ورمضان شهر الجود " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان"، ورمضان شهر القيام "من قام رمضان إيماناً وإحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه"، ورمضان كذلك شهر الصدقة وشهر الجهاد وشهر البر وصلة الرحم، رمضان شهر تتعدد فيه أبواب الخير.

علماء السلوك لا يروا ربطاً مباشراً بين الإدراك والسلوك فكم من عالم يغفل، لذلك فرقٌ بين تقدير رمضان ومعرفة مكانته وتوقع مقدمه وبين محبته والتشوق له ولمقدمه. والتهيؤ المعرفي يجب أن يتبعه تهيؤ عاطفي بالتشوق لرمضان من أجل أن يتم الربط بين المعرفة والسلوك.

ويتبع ذلك تهيؤاً إرادياً بتملك العزيمة من أجل مواصلة الليل بالقيام والنهار بالصيام. هذا التهيؤ هو نية تنعقد عليها العزيمة فنصوم صيام العارفين لا صيام الغافلين ونتجنب كل ما يؤذي عبادتنا من سلوك فاحش بذيئ.

"اللهم أهل رمضان علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام".

هذا رمضان يا ولدي

تغيرت الدنيا هذه الأيام في شهر رمضان يا ولدي فكل عام وأنت بخير ولم يعد يومنا هذا هو يومنا، تغيرت ملامح برنامجنا اليومي والليلي وبدا كل شيء متغير.

هذا رمضان يا ولدي فالله تبارك وتعالى افترض علينا فيه الصيام لعلنا نكون من المتقين " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " [البقرة : 183]، فمطلوب أن نحقق المراد بالتقوى، وهذا يحتاج يا ولدي أن ننتقل من صيام البدن إلى صيام اللسان والجوارح ومن صيام العموم إلى صيام الخصوص، لذلك " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه "، ومن ثم ننتقل يا ولدي إلى صيام خصوص الخصوص بصوم القلب حتى يغدو قلباً أبيضاً " لا يعرف منكراً ولا ينكر معروفاً "، وهذا يا ولدي يحقق المراد الإلهي بالصيام، وهذا التغير مطلوب أن نستثمره ليكون على مدار العام.

هذا رمضان يا ولدي مدرسة إيمانية بكل معنى الكلمة، فهو مدرسة للصبر والصيام، مدرسة التقوى والقرآن، مدرسة الرحمة والغفران، مدرسة التغيير والتجديد والبناء والتوطيد، مدرسة الإرادة والجهاد. في رمضان يا ولدي عليك أن تربي نفسك على الفطام " فعليك بالصوم فإنه لك وجاء "، و " إنك إمرئٌ صائم "، والصيام لذلك يا ولدي جُنة " الصوم جُنة "، ولذلك كان رمضان يا ولدي " شهر الصبر ". ورمضان يا ولدي مدرسة الجهاد والانتصار، حيث بدر الفرقان وفتح من الله ونصر قريب وجالوت العزة وغيرها كثير حين تحقق النصر على النفس معركة الفطام والصبر في تربيتها وتهذيبها.

ورمضان يا ولدي شهر تغيير والمطلوب في رمضان أن نستثمر فرصة عظمى للتغيير بمعرفة أولاً قيمة الوقت (العمر) الذي منحنا الله إياه. ورمضان فرصة إضافية للروح للتطور لتتوازن مع الجسد في طريق الاستقرار والطمأنينة والسعادة والرضا. ورمضان فرصة للتوقف عن النمط التقليدي للحياة خدمة للجسد باتجاه نمط آخر يعزز الروح حيث تتجلى الروح على حساب الجسد. ورمضان فرصة للانتصار على "هوى متبع" بغلبة الروح على الجسد.

ويتحقق هذا التغير الإيجابي بالعلم "العقل الصريح أو النقل الصحيح" والنقل الصحيح يأتي بكلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه "القرآن الكريم". ورمضان فرصة للعلم.. وأصل العلم النقل الصحيح "القرآن الكريم والسنة المطهرة" فترى الحماس الشديد لدى الناس للتعلم.

ورمضان يا ولدي فرصة تتجلى فيها قيمة الوقت فتُحسب فيه كل دقيقة وكل ثانية. ورمضان يا ولدي فرصة للعلاقة مع القرآن " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ [البقرة: 185] ". ورمضان يا ولدي فرصة للتخلص من الشح المطاع "كان ﷺ أجود من الريح المرسلة في رمضان".

رمضان يا ولدي فرصة لفهم فلسفة الحياة على أصولها وإعادة التوازن إلى حياتنا وبرمجة يوميات عملنا على سلوك جديد يعلو فيه هتاف الرحمن وتخفت فيه وساوس الشيطان "صفدت الشياطين".

عليك أن تنجح يا ولدي في استثمار رمضان للتغير الإيجابي والنجاح في مدرسة رمضان بحاجة إلى الإعداد والبناء والتخطيط والتدبير. إن الإعداد للعمل علامة التوفيق وأمارة الصدق في القصد، كما قال تعالى: " وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً " [التوبة : 46]. ولهذا: من الآن ، أصدق عزمك على فعل الطاعات .. وأن تجعل من رمضان صفحةً بيضاءَ نقية، مليئةً بالأعمال الصالحة .. صافيةً من شوائب المعاصي . قال الفضيل: "إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك ".

لذلك بادر ولدي إلى التوبة الصادقة المستوفية لشروطها، وأكثر من الاستغفار. وتعلَّمْ ما لابد منه من فقه الصيام وأحكامه وآدابه. واعقد العزم الصادق والهمة العالية على استثمار رمضان. وأعد لذلك خطة شهر رمضان الإيمانية والعلمية والاجتماعية والدعوية. ولا تنشغل كثيراً بالمشتريات والأسواق والفضائيات واعلم أنه أيام معدودات، فهو موسم فاضل، ولكنه سريع الرحيل.. وعظم أجرك بإفطار الصائمين وإطعام المحتاجين وكفالة الأرامل والمساكين.

ولا تنس التخطيط والترتيب لبرنامج يومي للأعمال الصالحة كقراءة القرآن، والجلوس في المسجد، والجلوس مع الأهل، والصدقة، والقيام، والعمرة، والاعتكاف، والدعوة وغيرها من الأعمال، فلا ينتهي عليك الشهر وأنت في شَتات ، فتحرمَ كثيراً من الخيرات والبركات، ولا تكن من الذين أندرهم رسول الله ﷺ " تعساً له من أدرك رمضان ولم يغفر له ".

رمضان مشروع نهضة

الوصول إلى تحقيق مشروع النهضة يبدأ بكلمة "إقـرأ" التي افتتح الله بها رسالة الإسلام الخالدة، حيث الإسلام مشروع النهضة للبشرية جمعاء وهذا ينسجم تماماً مع مفهوم الإستخلاف "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة: 30)، فكان احتجاج الملائكة أنهم يحققون العبادة، وكانت رسالة الله تبارك وتعالى لهم "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" (البقرة: 31). وعود على بدء لا بد أن نجهز لمشروع النهضة بالعلم وصناعة الوعي وتعميق الفهم.

وشهر رمضان محطته الأولى المعرفة، فالتهيؤ الإدراكي والمعرفي أهم المحطات حيث نتحصل العلم والمعرفة بقدر رمضان ومكانته، نعلم أن فيه ليلة خير من ألف شهر، وأن من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير ليس كمن تقرب في سواه، وأن الله يغفر لجميع المؤمنين في أخر ليلة من رمضان، وأن ...

ومن التهيؤ المعرفي لرمضان ألا نخلط بين رمضان كشهر مبارك والصيام كعبادة. فالصوم في رمضان وغيره، فهناك صوم الكفارات والنذور والنوافل والفروض، حيث أن مادة الصيام في القرآن وردت في ثلاثة عشر موضعاً لا يخص رمضان فيها سوى أربعة مواضع.

رمضان شهر الصيام "من صام رمضان إيماناً وإحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه"، ورمضان شهر الفرقان نزولاً ومدارسةً "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" وكان جبريل يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في كل ليلة من رمضان يدارسه القرآن، ورمضان شهر الإعتكاف "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان"، ورمضان شهر الجود " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان"، ورمضان شهر القيام "من قام رمضان إيماناً وإحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه"، ورمضان كذلك شهر الصدقة وشهر الجهاد وشهر البر وصلة الرحم، رمضان شهر تتعدد فيه أبواب الخير.

بعد المعرفة والإدراك بقيمة رمضان علينا أن نترجم ذلك إلى محبة قلبية تترقب مقدم رمضان ولا تحب مفارقته، مما يشكل حافزاً ملهماً لاستثمار رمضان بالشكل الأمثل وبقلب محب، وذلك عبر ترجمة هذا الحب لرمضان إلى سلوك في الطاعة والعبادة وعمل الصالحات.

المعرفة التي تعمق الوعي تصنع الحب والانتماء والذي يمثل ركيزة رئيسة في العطاء وفي التهيؤ لتحويل الحب والانتماء إلى سلوك وممارسة.

وعلماء السلوك لا يروا ربطاً مباشراً بين الإدراك والسلوك فكم من عالم يغفل، لذلك فرقٌ بين تقدير رمضان ومعرفة مكانته وتوقع مقدمه وبين محبته والتشوق له ولمقدمه. والتهيؤ المعرفي يجب أن يتبعه تهيؤ عاطفي بالتشوق لرمضان من أجل أن يتم الربط بين المعرفة والسلوك.

والمحطة الثانية في مشروع النهضة "العبادة" وترجمتها المباشرة في الأخلاق، لذلك كان أمر "العبادة" تالياً لأمر "إقرأ" "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا" (المزمل: 1-2)، والعبرة المتوخاة من هذه العبادة "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" (المزمل:5) أي أن الترجمة العملية للعبادة امتلاك الإرادة والاستعداد لأيام شداد.

وهكذا يكون رمضان معسكراً تدريبياً عاماً للأمة بأسرها كي تحقق حالة الاستعداد بالعبادة وتمتلك الإرادة اللازمة للقول الثقيل "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" (البقرة: 143).

ومن هنا يتبع العبادة تهيؤاً إرادياً بتملك العزيمة من أجل مواصلة الليل بالقيام والنهار بالصيام. هذا التهيؤ هو نية تنعقد عليها العزيمة فنصوم صيام العارفين لا صيام الغافلين ونتجنب كل ما يؤذي عبادتنا من سلوك فاحش بذيء.

لا تكفي المحبة القلبية لدوام العبادة والعمل والمواظبة، لذا يكن المؤمن بحاجة إلى إرادة وعزيمة قادرة على منحه أسباب الصبر على الطاعة.

والترجمة العملية لهذه العبادة أخلاق " كان قرآناً يمشي على الأرض" وهي الضلع الثاني لمشروع النهضة، ولا ينفك الصيام عن الأخلاق " فمن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه"، "وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم".

بل إن رسالة الإسلام جاءت لتتم مكارم الأخلاق "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

هذا الإستعداد بالعلم والعبادة والأخلاق يحقق حالة الجاهزية للإنطلاق في العمل، ومن هنا كانت رسالة الله الثالثة على قلب محمد ﷺ "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ" (المدثر: 1-2).

ورمضان يُجسد حالة الاستنفار الإيماني والانتشار لجميع معالم الخير النابضة بالحياة.

هذا المنهج القويم الذي نراه متجسداً في رسالة الإسلام لتحقيق النهضة نراه ماثلاً في رمضان، حيث أنه شرف العلم والعبادة والأخلاق والعمل "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (التوبة: 105)، ليتحقق الوعد الأعظم بتمكين مشروع النهضة " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ "(النور: 5)

رمضان .. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

"وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ" [آل عمران : 133] المسابقة إلى الخيرات منافسة محمودة "وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ " [المطففين: 26] ،" أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ" [المؤمنون: 61] " .

وجعل الله درجة السابقين أعلى من أصحاب اليمين، فمنزلة أصحاب اليمين دون منزلة المقربين " هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ" [آل عمران : 163]. وكذلك "إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى" .وقال صلى الله عليه وسلم "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم". ولقد تفطّن الصحابة إلى هذه المعاني العظيمة فكانوا مسارعين في الخير دائماً فحازوا الدرجات العُلى والرفعة.

وقد طوى رمضان الخير فإن من التنافس المحمود المبادرة إلى الصف الأول، وكذلك التنافس في الجهاد بالمال والنفس، وقيام الليل والعلم والذكر والصلاة والصدقة والصيام والإصلاح بين الناس والدعاء إلخ من أبواب الخير الرحبة الفسيحة.

كل واحد في هذه الدنيا له سبيل "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" [البلد : 10] فالناس مشارب ولكن السعيد من وفّقه الله لسلوك الطريق الأقوم، ومن الناس من ينحرف في تنافسه لتكون "الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه" .ويقول صلى الله عليه وسلم "فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم".

وينشأ عن ذلك التكالب على الدنيا والمخاصمة المستمرة عليها وعلى ما فيها من متاع زائل، وتكون العداوة والبغضاء على كل من يسبقه في أمور الدنيا، وازدراء نعمة الله عزوجل وعدم الرضا بها.

يُبطل التنافس المحمود فساد النية، فلربما ينافس الإنسان غيره في عمل من أعمال الخير كالصدقة أو الصوم أو نحوه من الأعمال ولكن قد يزل بنيته فيهوي خاسراً الدنيا والآخرة. وذلك بتحقير منجزات الغير ، وإظهار سلبياتهم، وسوء الظن بالناس وتأويل أقوالهم، أو لحسد (الداء الذي يأكل الحسنات). ومن العوائق التي تمنع التنافس: التسويف والتباطؤ وهو من خصال الكسالى المتثاقلين.

وفي إدارة التنافس مع العدو، فلا ينبغي بخس الخصم إمكاناته، فالأساس أن نعرف ونفهم الخصم وموارده وأهدافه وغاياته وإستراتيجيته. وهذا لا يأخذنا في طريق المبالغة بقوة الخصم وفي ذلك يقول نابليون "هناك نزعة

تجعلنا نفترض أن عدونا المنافس يبلغ طوله أقداماً، وله موارد غير محدودة، وليس لديه مشاكل، بينما نبدو نحن إلى جواره أقزاماً تافهة ذات موارد محدودة ومشاكل كثيرة".

هنا على أرض فلسطين الحبيبة يبدو جلياً أن الصراع المحتدم مع الاحتلال الغاصب بحاجة إلى تقدير دقيق لقدرات العدو وخططه وبرامجه. وكذلك تحديد نقاط ضعفه من أجل مزيد من الإنهاك له ولأتباعه.

ومشروعي التحرر في فلسطين في تنافس ولكن يبدو أن هناك من يضل الطريق وينحرف في فلسفة التنافس ليجعل من العدو حليفاً؟! ومن المنافس في ميدان التحرر عدواً، فيحدث التواطؤ والتنازل والتراجع.

لنعد إلى المنهج ونصحح المسار ولتكن وجهة البوصلة صوب القدس وفلسطين وإلا فإن سنة الله ماضية " فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ" [الرعد: 17].

وإلى الملتقى إن شاء الله..

فلسفة التغيير في رمضان

فهم الحياة كلمة السر في الطمأنينة والسعادة والرضا.. والحياة اختبار محدد بفترة زمنية عمرية يخضع فيها الإنسان لقاعدة "وهديناه النجدين".

فالمرء مخلوق من جسد يأخذك بمتطلباته واحتياجاته نحو البهيمية. والروح نفخة الله "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي [الحجر : 29]" يكون اكتمال عنصري الاختبار في جسد يأخذك باتجاه الأرض والروح تأخذك باتجاه السماء " مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ [التوبة : 38]".

والنجاح في الاختبار بالانتصار على الجسد لصالح الروح أو قل بالانتصار على الهوى لصالح الوحي وفي طريق الانتصار وتحقيق النجاح في الاختبار أرسل الله تبارك وتعالى المنهج "القرآن الكريم" الذي يأخذ بأيدينا نحو الجنة وبعيداً عن النار " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسراء : 9] ".

ويتحقق في ذلك أيضاً معاني الانتصار في الحياة الدنيا بتحقق الطمأنينة " أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد : 28] " ومن ثم تحقق السعادة ومن ثم الرضا "منتهى السعادة".

يشقى الإنسان "بطغيان جاهلية الجسد على الروح" ولا يحدث هذا الطغيان إلا بأحد سببين "الجهل أو الكبر"، والجهل بعدم معرفة "من أنا؟ ولماذا أنا؟"، وبجهل المعنى المراد بقوله تعالى "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" والكبر" بطر الحق وغمط الناس"، والكبر سبب مصيبة إبليس لعنه الله. والتغيير يتحقق بأن نعرف " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات : 56]" وألا يصيبنا الغرور بالطاعة التي نقدمها بين يدي الله تبارك وتعالى.

والمطلوب في رمضان أن نستثمر فرصة عظمى للتغير بمعرفة أولاً قيمة الوقت (العمر) الذي منحنا الله إياه. ورمضان فرصة إضافية للروح للتطور لتتوازن مع الجسد في طريق الاستقرار والطمأنينة والسعادة والرضا. ورمضان فرصة للتوقف عن النمط التقليدي للحياة خدمة للجسد باتجاه نمط آخر يعزز الروح حيث تتجلى الروح على حساب الجسد. ورمضان فرصة للانتصار على "هوى متبع" بغلبة الروح على الجسد.

ويتحقق هذا التغير الإيجابي بالعلم "العقل الصريح أو النقل الصحيح" والنقل الصحيح يأتي بكلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه "القرآن الكريم". ورمضان فرصة للعلم.. وأصل العلم النقل الصحيح "القرآن الكريم والسنة المطهرة" فترى الحماس الشديد لدى الناس للتعلم خاصة حول رمضان المبارك.

ورمضان فرصة تتجلى فيها قيمة الوقت فتُحسب فيه كل دقيقة وكل ثانية.

ورمضان فرصة العلاقة مع القرآن "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن".

ورمضان فرصة للتخلص من الشح المطاع "كان ﷺ أجود من الريح المرسلة في رمضان".

رمضان فرصة لفهم فلسفة الحياة على أصولها وإعادة التوازن إلى حياتنا وبرمجة يوميات عملنا على سلوك جديد يعلو فيه هتاف الرحمن وتخفت فيه وساوس الشيطان "صفدت الشياطين".

هلا من مشمر همام لاستثمار رمضان.

رمضان مدرسة

"اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا اللهم رمضان" دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في التهيؤ لاستقبال رمضان. التهيؤ المطلوب يتم بتهيؤ المعرفة و الإدراك وتهيؤ الشوق و العاطفة وتهيؤ الإرادة والعزيمة.

تفتتح المدرسة الإيمانية الربانية القرآنية الجهادية أبوابها. مدرسة رمضان المبارك.. مدرسة الصبر والصيام، مدرسة التقوى والقران، مدرسة الرحمة والغفران، مدرسة التغيير والتجديد والبناء والتوطيد، مدرسة الإرادة والجهاد...

في رمضان عليك بالصيام لتربي النفس على الفطام، والصيام كبح لجماح الشهوة "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء" رواه البخاري. وإياك وردود الأفعال فاكبح جماح نفسك "الصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم" متفق عليه.

وحقق في نفسك الإرادة العالية، والصوم تربية للإرادة وجهاد للنفس، وتعويد على الصبر، والثورة على المألوف، وهل الإنسان إلا إرادة؟ وهل الخير إلا إرادة؟ وهل الدين إلا صبر على الطاعة، أو صبر عن المعصية؟ والصيام يتمثل فيه الصبران. ولا غَرْو أن سَمَّى النبي صلى الله عليه وسلم شهر رمضان (شهر الصبر). قال بن رجب " والصبر ثلاثة أنواع: صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن محارم الله، وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة. وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم؛ فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عمّا حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن"

" الصيام لي وأنا أجزي به " كما في البخاري، وهي ميزة تحقق الخلو من الرياء ومقدار ثوابه وعظيم مكانته وتشريفه، فالصيام إذاً مدرسة الإخلاص. كما أنه مدرسة الاحتساب" من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا. من صام رمضان إيمانا واحتسابا . ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا ". لما في الاحتساب من أجر وصبر وتعب ، تأتي بعده البركات والأماني الجميلة في النفس والروح معا.

رمضان مدرسة الجهاد والانتصار، حيث بدر الفرقان وفتح من الله ونصر قريب وجالوت العزة وغيرها كثير تحقق حين النصر على النفس والانتصار عليها في معركة الفطام والصبر في تربيتها وتهذيبها.

والنجاح في مدرسة رمضان بحاجة إلى الإعداد والبناء والتخطيط والتدبير. إن الإعداد للعمل علامة التوفيق وأمارة الصدق في القصد، كما قال تعالى: { وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً}، ولهذا: من الآن ، اصدق عزمك على

فعل الطاعات .. وأن تجعل من رمضان صفحةً بيضاءَ نقية، مليئةً بالأعمال الصالحة .. صافيةً من شوائب المعاصي . قال الفضيل: "إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك ".

لذلك بادر أخي/أختي إلى التوبة الصادقة المستوفية لشروطها، وأكثر من الاستغفار. وتعلَّمْ ما لابد منه من فقه الصيام وأحكامه وآدابه. واعقد العزم الصادق والهمة العالية على استثمار رمضان. وأعد لذلك خطة شهر رمضان الإيمانية والعلمية والاجتماعية والدعوية. ولا تنشغل كثيراً بالمشتريات والأسواق والفضائيات واعلم أنه أيام معدودات، فهو موسم فاضل، ولكنه سريع الرحيل.. وعظم أجرك بإفطار الصائمين وإطعام المحتاجين وكفالة الأرامل والمساكين.

ولا تنس التخطيط والترتيب لبرنامج يومي للأعمال الصالحة كقراءة القرآن، والجلوس في المسجد، والجلوس مع الأهل، والصدقة، والقيام، والعمرة، والاعتكاف، والدعوة وغيرها من الأعمال، فلا يدخل عليك الشهر وأنت في شَتات ، فتحرمَ كثيراً من الخيرات والبركات.

"اللهم أهل رمضان علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام".

فلسفة الصيام

" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة : 183]

ما مغزى الصيام؟

سؤال يتردد صداه في عالم الصائمين بحثاً عن استقرار نفسي مع أمر إلهي يحمل معنى الإلزام الذي لا خيار معه سوى قولنا " سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا [البقرة : 285]" خلافاً لبني إسرائيل الذين قالوا " سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا [البقرة : 93]". والحكمة الإلهية في التشريع لا تتركنا في مهب الريح بحثاً عن حكمة مفقودة أو معنى مبطن فتسترسل الآية القرآنية بالقول "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة : 183]".

يستبق أهل الطب والصحة القول بجدوى الصيام بالقول "صوموا تصحوا"، وأن الصيام طريق لإعادة ترميم الجسد وإراحة المعدة وتجديد الخلايا. وأهل علوم النفس والاجتماع نافسوهم بالحديث عن وحدة المشاعر مع الفقراء وأصحاب الحاجات وذلك بتحقق الجوع والعطش وأن نحاكي من لا يجدون قوت يومهم فنخاطب ضمائرنا عمليًّا، فنجوع كجوعهم، ونظمأ كظمئهم، ونعرق بعرقهم، ونشقى بشقائهم، ونتألم بآلامهم، وما أعظم أن يعيش الإنسان مع الإنسان ويشعر به كما يشعر هو بذاته.

وكذلك تحدثوا عن الاستعداد النفسي والبدني لأيام صعبة ومحن قاسية وفقدان للطعام والشراب وأنّ الصيام تمرين على المصائب والجلد في الشدائد.

ربما كل ذلك صحيح، فهناك الجدوى الصحية والنفسية والمجتمعية ولكن المعنى التعبدي في الاستجابة الفورية لأوامر الرب تبارك وتعالمر الأإ إذ نرى أن كثافة الجسد أو رقته لها أثر في العبادة ورونقها أثراً وتأثراً.

المغزى الحقيقي للصيام يعرضه ربنا تبارك وتعالى بالقول "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة : 183]". وتحقق التقوى "بأن يراك الله حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك". وحتى يتحقق ذلك يشرح علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- فلسفة الصيام وآلة حدوثها فيقول:

(صوم القلب خير من صيام اللسان، وصوم اللسان خير من صيام البطن).

إذاً يتحقق التمايز والتفاوت بين صوم وصوم للوصول إلى صوم القلب "ألا يخطر ببالك الإثم"، لكنَّ كلاً منها يؤدي للآخر فصيام البطن "الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة" يعني بالدرجة الأولى الانتصار على النفس وتهذيبها، ولذلك "رب صائم ليس له من صامه إلا الجوع والعطش" ولذلك لابد بعد صوم الجسد استعدادا لمرحلة

أرق في الصيام ألا وهو صيام اللسان ومن هنا كانت وصية النبي "إذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يفسق ولا يجهل، وإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم".

وصيام اللسان يدخل في صيام النفس، حيث إن (صيام النفس إمساك الحواس الخمس عن سائر المآثم وخلو القلب عن جميع أسباب الشر). بعد هذا الصوم نرقى ونتجه نحو أفق أوسع وفضاء أنقى ألا وهو صوم القلب وهو الذي يسمو بنا إذ إن (صيام القلب عن الفكر في الآثام أفضل من صيام البطن عن الطعام).

تحقق التقوى غاية الصيام المرجوة ومنتهى الغاية بناء الإنسان الذي يحقق معنى الوجود "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات : 56]"، مع تحقق لمعنى الاستخلاف الحقيقي " إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً [البقرة : 30]".

إذاً لنحقق في أنفسنا مغزى الصيام بالانتقال من صيام الجسد إلى صيام اللسان، ومن صيام اللسان إلى صيام القلب بتحقق تقوى القلوب " ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج : 32]".